

ومن ^(١) الإيمان بالله : ^(٢) الإيمان بما وصف ^(٣) به نفسه في كتابه العزيز ^(٤) , وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ^(٥) , من غير تحريف ^(٦) ,

-
- (١) من هنا إلى آخر هذه العقيدة المباركة : هذا بيان للاعتقاد على سبيل التفصيل لما سبق إجماله .
(٢) هذا شروع من المؤلف في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات .
(٣) واقتصر المؤلف على الصفات ولم يذكر الأسماء لأمرين :
١ / لأن كل اسم يتضمن صفة , فذكر الصفات يغني عن ذكر الأسماء , فتدخل الأسماء تبعاً في الصفات .
٢ / لأن الخلاف في الأسماء ضعيف وقليل بالنسبة للمنتسبين للإسلام .
انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/٧٣ .
(٤) فأهل السنة والجماعة لا يتجاوزون القرآن و السنة في باب الأسماء والصفات , قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث .
انظر : مجموع الفتاوى ٥/٢٦ , ٣٨٢ .
(٥) السنة تدل على الأسماء والصفات بثلاث طرق :

- ١- بالقول , مثل حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال : (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة) أخرجه البخاري رقم (٢٨٢٦) , ومسلم رقم (١٨٩٠) .
٢- بالفعل , مثل حديث جابر بن عبد الله ؓ في صفة حجة النبي ﷺ : أنه (قال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد) أخرجه مسلم رقم (١٢١٨) .
٣- بالإقرار , مثل حديث معاوية بن الحكم السلمي ؓ أن النبي ﷺ سئل جارية فقال لها (أين الله ؟) قالت في السماء , قال (من أنا ؟) قالت أنت رسول الله , قال (أعتقها فإنها مؤمنة) أخرجه مسلم رقم (٥٣٧) .

- (٦) التحريف : هو تغيير اللفظ أو المعنى عن ظاهره , وهو نوعان (انظر : الصواعق المرسلة ١/٢١٥) :
١- تحريف اللفظ : كما صنع اليهود والنصارى في كثير من ألفاظ التوراة والإنجيل على القول الصحيح , وكما يفعله المبتدعة في نصوص الكتاب والسنة .
انظر : الجواب الصحيح ٢/٤١٩ , ٤٢٠ , الصواعق المرسلة ١/٢١٥ , هداية الحيارى ٤١٥ , ٤١٦ , ٤٢٦ , فتح الباري ١٣/٦٥٣ .
٢- تحريف المعنى : كما صنع اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل بإجماع أهل العلم , وكما يفعل المبتدعة في نصوص الكتاب والسنة .

- انظر : الجواب الصحيح ٢/٤١٩ , فتح الباري ١٣/٦٥٣ .
- والتعبير بلفظ (التحريف) أبلغ من لفظ (التأويل) لأمرين :

- ١- لأنه اللفظ الوارد في القرآن , قال تعالى : { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } [سُورَةُ النَّسَاء : ٤٦] .

-
- ٢- لأنه أبلغ في الزجر والتنفير منه .
- ٣- لأن التحريف كله مذموم , بخلاف التأويل فمنه محمود ومنه مذموم :
- فالمحمود مثل قول النبي لابن عباس : (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) أخرجه أحمد رقم (٢٣٩٧) , وابن حبان رقم (٧٠٥٥) , وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٨٩) .
- والمذموم مثل تفسير قوله تعالى (استوى) : بأنه استولى
- (١) التعطيل : هو نفي أسماء وصفات الله سبحانه وتعالى .
- انظر : درء المعارض ٨ / ٢٤٧ , ١ / ٢٨٤ .
- (ولهذا كان السلف والأمة يسمون نفاة الصفات معطلة , لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى) .
- انظر : مجموع الفتاوى ٥ / ٣٢٦ .
- والفرق بين التحريف وبين التعطيل هو : أن التحريف استبدال الصحيح بالباطل , والتعطيل نفي للمعنى بالكلية .
- انظر : شرح الواسطية لهراس ص ٩٩ .
- ووجه جمع المؤلف بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف يؤدي إلى التعطيل .
- انظر : مجموع الفتاوى ٦ / ٣٥٥ .
- ومن أنواع التعطيل : التفويض وهو : إثبات ألفاظ الصفات , وأن معانيها مجهولة لا يعلمها إلا الله .
- وهو من أشرف أقوال أهل البدع والإلحاد , كما قال شيخ الإسلام رحمه الله .
- انظر : درء المعارض ١ / ١٢١ , مجموع الفتاوى ٩ / ٩ .

ومــــن غــــير تكييــــف (١) , ولا تمثيــــل (٢) ,

- (١) التكييف : هو السؤال عن كيفية صفات الله أو اعتقاد أنها على كيفية كذا وكذا .
- قال الإمام مالك رحمه الله لمن سألته عن كيفية استواء الله تعالى على العرش : (كيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) أخرجه البيهقي بسنده في الأسماء والصفات رقم (٨٦٧) .
- قال الذهبي في كتابه العلو ١/١٣٩ : (هذا ثابت عن مالك) .
- انظر : الرد على الجهمية للدارمي رقم (١٠٤) ص ٦٦ , شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي رقم (٦٦٤) , ٤٤١/٣ , مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥ , فتح الباري ١٣/٥٠٠ .
- ليس معنى (من غير تكييف) نفي الكيفية لصفات الله , بل لها كيفية , فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية معينة , ولكن المنفي هو علمنا بالكيفية , لأنه لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه .
- وقد اتفق السلف على نفي المعرفة بماهية الله , وكيفية صفاته .
- انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٦٤ , مجموع الفتاوى ٣/١٩٥ , درء التعارض ٩/٢٣ .
- (٢) التمثيل : هو اعتقاد أن صفات الله مساوية لصفات المخلوقين .
- انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٣ , ٥٧ , ٣٨١/٢ , درء التعارض ٩/٢٣ , منهاج السنة ٨/٢٩ , الصفدية ١/١٠٠ .
- نفي المثل عن الله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل .
- انظر : التسعينية ٢/٧٥١ , مجموع الفتاوى ٣/١٩٦ .
- وعبر المؤلف بلفظ (التمثيل) ولم يعبر بلفظ التشبيه لأمرين :
- ١- أن هذا هو لفظ القرآن قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [سُورَةُ الشُّورَى : ١١] .
- ٢- أن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح , لأنه ما من شيئين إلا وبينهما نوع تشابه , فلو نفيت التشبيه مطلقاً , لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما , مثلاً السمع فيه اشتراك , الخالق له سمع , والإنسان له سمع , لكن بينهما فرق , مع أن أصل وجود السمع مشترك .
- انظر : مجموع الفتاوى ٣/١٦٦ , منهاج السنة ٣/٥٢٧ , الصفدية ١/١٠١ .
- الفرق بين التكييف وبين التمثيل هو :
- ١- أن التكييف ذكر الصفة غير مقيدة بمائل , والتمثيل ذكر الصفة مقيدة بمائل .
- ٢- أن الكيفية لا تكون إلا في الصفة والهيئة , والتمثيل يكون في الصفة والهيئة وفي العدد كما في قوله تعالى : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ } [سُورَةُ الطَّلَاقِ : ١٢]

بل يؤمنون^(١) بأن الله سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ^(٢) شَيْءٌ^(٣) وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٤)} [سُورَةُ

انظر : شرح الواسطية لابن عثيمين ١١٢/١ .

– ووجه جمع المؤلف بين التكيف والتمثيل هو أن التكيف يؤدي إلى التمثيل .

انظر : مجموع الفتاوى ٣٥٥/٦ .

(١) – فالمحرفة : يتكون ألفاظ ومعاني الصفات الصحيحة ويجعلون مكانها أخرى باطلة .

– والمعطلة : يقولون إن صفات الله لا معاني لها , فهم ينكرون الصفات .

– والمفوضة : يقولون إن صفات الله لها معاني ولكن لا نعلمها بل الله يعلمها .

– والمكيفة : يقولون إن صفات الله لها معاني ولكن يسألون عن كيفيتها , أو يقولون كيفيتها كذا وكذا من

غير تمثيلها بشيء آخر .

– والممثلة : يقولون إن صفات الله لها معاني ولكن يقولون هي مثل كذا وكذا من صفات المخلوقين .

– وأهل السنة : يقولون إن صفات الله لها معاني نعلمها ولها كيفية ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله .

(٢) في معنى الكاف في (كمثلته) أقوال لأهل العلم أصحابها :

١- أن الزائد في الآية هو حرف (الكاف) وهو حرف صلة مزيد للتأكيد , فتكرر الجملة عدة مرات

تأكيداً لمعناها , و (زيادة الحرف بمزلة إعادة الجملة ثانية) (مغني اللبيب لابن هشام ١٩/٣) .

ويكون المعنى على هذا القول : ليس مثله شيء , ليس مثله شيء , ليس مثله شيء .

ومن قال بهذا القول ابن أبي زمنين (ينظر : تفسير ابن أبي زمنين ١٦٣/٤) , والأزهري (ينظر :

تهذيب اللغة ١٥/١٠٠) , وابن فارس (الصاحي في فقه اللغة ص ١١٥) , وابن تيمية (بيان

تلبيس الجهمية ٣/١٢٤) , وابن أبي العز الحنفي (شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤) , وهو

قول أكثر أهل العلم (مغني اللبيب لابن هشام ١٩/٣) , الجنى الداني في حروف المعاني ص ٨٧

, وهو المشهور عند أهل الإعراب (الدر المصون ٩/٥٤٣) .

٢- أن الآية على ظاهرها على سبيل الافتراض .

والمراد المبالغة في نفي المماثلة : لو كان الله مثيل فليس يشبه هذا المثل شيء , فإذا نُفِيت المماثلة

عن المثل على افتراضه فنفيها عن الله من باب أولى , وهذا أسلوب معروف من أساليب العرب

(ينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ١٢٤) .

ومن قال بهذا القول الشوكاني (فتح القدير للشوكاني ٤/٦٦٠) .

(٣) نكرة في سياق النفي , فيعم أي شيء , وهذه الجملة فيها رد على الممثلة .

(٤) سبب ذكر السمع والبصر هو أن أكثر الخلق مشتركون في هاتين الصفتين , وهما مظنة التوهم بالاشتراك .

– وهذه الجملة فيها رد على المعطلة .

– اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثلته شيء , لا في ذاته , ولا في صفاته , ولا في أفعاله .

انظر : مجموع الفتاوى ٣٩٩/٦ , شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧ .

الشُّورَى : ١١]

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ^(١) , ولا يُحرفون الكلم عن مواضعه ^(٢) , ولا يلحدون في أسماء الله ^(٣) , وآياته ^(٤) , ولا يكيفون , ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه , لأنه ^(٥) سبحانه لا سمي له ^(٦) , ولا كُفء له ^(٧) , ولا ند له ^(٨) ,

(١) أي أن أهل السنة لا يفعلون كما يفعل المعطلة الذين ينفون عن الله ما وصف به نفسه .

(٢) أي أن أهل السنة لا يفعلون كما يفعل المحرفة الذين يغيرون كلام الله عن وضعه الصحيح .

(٣) أي أن أهل السنة لا يميلون بأسماء الله - مع تضمنها لصفات الله - عن ألفاظها ومعانيها الصحيحة إلى الألفاظ والمعاني الباطلة , كما قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سُورَةُ الْأَعْرَافِ : ١٨٠] .
(٤) آيات الله نوعان :

١- آيات كونية : وهي ما يتعلق بالخلق والتكوين كالشمس والقمر والسموات والأرض , والإلحاد فيها يكون بادعاء أن غير الله خلقها , أو اشترك في خلقها , أو أعان عليه , وقد رد الله ذلك كما قال تعالى : { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } [سُورَةُ سَبَأٍ : ٢٢] .

٢- آيات شرعية : وهي ما جاءت به الرسل من الوحي , والإلحاد فيها يكون بتكذيبها , أو تحريفها , أو مخالفتها , كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [سُورَةُ فَصَّلَتْ : ٤٠] , ويظهر أن هذا هو مراد المؤلف رحمه الله .

انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣ , شرح الواسطية لابن عثيمين ١١٩/١ .

(٥) هذا تعليل لسبب سلوك منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات .

(٦) كما قال تعالى : { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [سُورَةُ مَرْيَمَ : ٦٥] .

(٧) كما قال تعالى : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [سُورَةُ الْإِخْلَاصِ : ٤] .

(٨) كما قال تعالى : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٢] .

ومعنى هذه الثلاثة (السمي - والند - والكُفء) متقارب , والمراد نفي المماثل والمساوي والمشابه لله سبحانه وتعالى .

ولا يُقاس^(١) بخلقه سبحانه وتعالى ، فإنه^(٢) أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قِيلاً ، وأحسن حديثاً من خلقه.

ثم رُسِّله صادقون مصدوقون^(٣) ، بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون^(٤) ، ولهذا^(٥) قال : { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ^(١) عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

(١) المنفي هنا هو جميع أنواع القياس فهي منفية عن الله سبحانه وتعالى ، لأن الله لا مثل له فيُقاس عليه ، ولا يدخل هو وغيره تحت قضية كليه تستوي أفرادها ، ما عدا قياساً واحداً (إِنَّ سُلْمَ تَسْمِيَتِهِ قِيَاساً) وهو : قياس الأولى : ومعناه أن كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى أن يُثبت له ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه ، كما قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سُورَةُ النَّحْلِ : ٦٠] .

انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٧/٣ ، ١٤١/٩ ، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٤/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٧ .
(٢) هذه أسباب الاختصار على ما أخبر الله به في باب الأسماء والصفات :

١ - لأن الله أعلم من خلقه بنفسه .

٢ - لأن الله أعلم من خلقه بغيره .

٣ - لأن الله أصدق من خلقه قِيلاً .

٤ - لأن الله أحسن من خلقه حديثاً .

(٣) هكذا في المخطوط والفتاوى (مَصْدُوقُونَ) ، ويؤيد هذه الرواية حديث ابن مسعود : (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق) أخرجه البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣) ، قال في الفتح ٤٧٨/١١ : (وهو الصادق المصدوق قال الطيبي يحتمل أن تكون الجملة حالية ويحتمل أن تكون اعتراضية وهو أولى لتعم الأحوال كلها وأن ذلك من دأبه وعادته والصادق معناه المخبر بالقول الحق ويطلق على الفعل يقال صدق القتال وهو صادق فيه والمصدوق معناه الذي يصدق له في القول يقال صدقته الحديث إذا أخبرته به إخباراً جازماً أو معناه الذي صدقه الله تعالى وعده) .

وفي بعض النسخ (مُصَدَّقُونَ) .

(٤) هذه أسباب الاختصار على ما أخبر به رُسُلُ الله في باب الأسماء والصفات :

١ - لأن رسل الله صادقون في أقوالهم وأفعالهم .

٢ - لأن ما أوحى إلى رسل الله صِدْقٌ ، على نسخة (مَصْدُوقُونَ) .

٣ - لأن الله قد صَدَّقَ رُسُلَهُ وأيدهم بالأقوال والأفعال ولم يُكذِّبْهم ، على نسخة (مُصَدَّقُونَ) ، وهذا المعنى الأول .

٤ - لأنه واجبٌ على أقوام الرسل تصديقهم ، على نسخة (مُصَدَّقُونَ) ، وهذا المعنى الثاني ، ولهذا ذكر

بعد ذلك المكذبين فقال (بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون) .

(٥) هذا تعليل لما سبق من كون كلام الله ورسوله أكمل الكلام وأصدق .

(١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { [سُورَةُ الصَّافَّاتِ : ١٨٠ - ١٨٢] , فَسَبِّحْ
نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرَّسْلِ , وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النِّقْصِ
وَالْعَيْبِ .

(١) العِزَّةُ لَهَا مَعْنِيَانِ :

- ١- العِزَّةُ الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ , وَمَعْنَى رَبِّ الْعِزَّةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى : أَيُّ صَاحِبِ الْعِزَّةِ , مِنْ بَابِ
إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ , كَقَوْلِكَ : رَبُّ الدَّارِ أَيُّ صَاحِبِ الدَّارِ .
- ٢- العِزَّةُ الْمَخْلُوقَةُ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْمَخْلُوقُ , كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } [سُورَةُ
الْمُنَافِقُونَ : ٨] , وَقَوْلِهِ : { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ } [سُورَةُ ص : ٢] , وَمَعْنَى
رَبِّ الْعِزَّةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى : أَيُّ خَالِقِ الْعِزَّةِ .

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ^(١) , فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون , فإنه الصراط المستقيم , صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وقد دخل في هذه الجملة ^(٢) ما وصف به نفسه ^(٣) في سورة الإخلاص ^(١) التي

(١) والكلام هنا عن مقامين :

أولاً/ عن الأسماء : فإن أسماء الله كلها مثبتة , لكن أسماء الله المشتبة منها ما يدل على معنى الإثبات وهذا كثير مثل (العزيز - الحكيم - الرحمن - العليم) , ومنها ما يدل على معنى النفي مثل اسم (السلام) ومعناه السالم من كل عيب , وهذا نفي يتضمن إثبات مطلق الكمال للرب سبحانه , وهذا هو معنى النفي والإثبات بالنسبة لأسماء الله في كلام المؤلف .

ثانياً/ عن الصفات : وهي على قسمين :

١- مثبت : وهو نوعان : (قاعدة : التفصيل في الإثبات أكثر من الإجمال)

أ- مجمل : وهو إثبات الكمال المطلق , والحمد المطلق , والمجد المطلق , ونحو ذلك , مثل قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة الفاتحة : ٢] , وقوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سورة النحل : ٦٠] .

ب- مفصل : وهو إثبات كل صفة وردت في الكتاب والسنة , مثل إثبات العزة في قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ } [سورة المنافقون : ٨] , وإثبات الانتقام في قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ } [سورة إبراهيم : ٤٧]

٢- منفي : وهو نوعان : (قاعدة : الإجمال في النفي أكثر من التفصيل)

أ- مجمل : وهو أن ينفي عن الله عز وجل كل ما يصاد كماله من أنواع العيوب والنقائص , مثل قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [سورة الشورى : ١١] , وقوله : { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } [سورة الصافات : ١٥٩] .

ب- مفصل : وهو أن يتره الله عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه , مثل قوله تعالى : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } [سورة الإخلاص : ٣] , وقوله تعالى : { وَلَا يَظَلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [سورة الكهف : ٤٩] .

(٢) المراد بالجملة : ما سبق من القواعد في أسماء الله وصفاته , ومنها قاعدة النفي والإثبات , وقاعدة الإقتصار على الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات , وقد شرع المؤلف في ذكر النصوص الشرعية على ما سبق من القواعد .

(٣) صفة النفس ثابتة لله سبحانه كما قال تعالى : { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } [سورة المائدة : ١١٦] , وقوله تعالى : { وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [سورة آل عمران : ١٨]

تعديل ثلث القرآن (٢) حيث يقول : { قُلْ هُوَ اللَّهُ

٣٠] , ومعنى (نفس الله) على الصحيح : أي ذاته المتصفة بصفاته , ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات , ولا المراد بها صفة للذات .

انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٢/٩ , درء التعارض ٣٦٣/٥ .

(١) سُميت سورة الإخلاص بذلك لأمرين :

- ١- لأنها تُخلص صاحبها أي تجعله مُخلصاً لله , وخالصاً من الشرك .
 - ٢- لأنها خالصة في ذكر صفات الله , لم يُذكر فيها شيء من الأحكام ولا الأخبار ونحو ذلك .
- (٢) كما جاء في صحيح البخاري حديث رقم (٤٧٢٦) , من حديث أبي سعيد الخدري : أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ { قل هو الله أحد } يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) , وصحيح مسلم رقم (٨١٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه و سلم فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ثم خرج نبي الله صلى الله عليه و سلم فقال : (إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن) .
- ومعنى أنها تعدل ثلث القرآن : أي الثلث في الأجر , وأما كونها ثلث القرآن : فأقرب الأقوال أن القرآن ثلاثة أنواع / ١- توحيد ٢- وعد ووعد ٣- أحكام , وسورة الإخلاص قد تضمنت أصول التوحيد , فصح أن تكون ثلث القرآن .

انظر : مجموع الفتاوى ١٧/١٠٣ - ١٠٨ , منهاج السنة ٢٩٠/٣ .

أَحَدٌ^(١) (١) اللَّهُ الصَّمَدُ^(٢) (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ^(٣) (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤) } [سُورَةُ الْإِخْلَاصِ : ١ - ٤] .

و^(٥) ما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه^(٦) حيث يقول: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٧) الْحَيُّ الْقَيُّومُ^(٨) لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ^(٩) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ^(١٠) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ^(١١) حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ^(١٢) }

(١) أي قل يا محمد الله (وأصلها الإله فحذفت الهمزة تخفيفاً) أحد أي واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته

(٢) الصمد في معناها قولان مشهوران عن السلف وكلاهما صحيح :

١- الذي لا جوف له , وهذه صفة كمال فالذي لا جوف له أكمل من المجوف .

٢- السيد الذي كمل في سؤدده فترفع إليه الحوائج .

وبتعبير آخر فالصمد هو الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته .

(٣) قدم نفي الولد على نفي الولادة مع أنها أشد وأعظم لأن الولادة لم يخالف في عدمها أحد , أما اتخاذ الولد فقد افتراه النصارى في الله تعالى عما يقولون , ففيه الرد عليهم .

(٤) أي ليس له مكافئ وهو الشبيه والمثيل والنظير .

ففي الآيتين الأوليين إثبات , وفي الأخيرين نفي , فجمع بين الإثبات والنفي , وهذا هو سبب إيراد المؤلف لها هنا .

(٥) أي ودخل في الجملة السابقة من القواعد التي ذكرها المؤلف .

(٦) كما جاء في صحيح مسلم حديث رقم (٨١٠) , ٨١/٦ , عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه و سلم : (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت الله

ورسوله أعلم قال يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت الله لا إله إلا هو الحي

القيوم قال فضرب في صدري وقال والله ليهنك العلم أبا المنذر) .

(٧) أي لا معبود بحق إلا هو .

(٨) الحي : الحياة الكاملة , وفي هذا الاسم إثبات جميع الصفات الذاتية إثباتاً مجملًا .

القيوم : القائم في نفسه المقيم لغيره , وفي هذا الاسم إثبات جميع الصفات الفعلية إثباتاً مجملًا .

(٩) هذه الجملة تأكيد لما سبق من إثبات الحياة الكاملة , والسَّنة هي النعاس .

(١٠) الكرسي : أصح ما قيل في المراد به أنه موضع القدمين لله عز وجل :

وهو قول أبي موسى الأشعري (ينظر : تفسير الطبري ٥٣٨/٤ , والأسماء والصفات للبيهقي رقم (٨٥٩)

٢٩٦/٢ , وقال ابن حجر في فتح الباري ٦٩٧/٩ (بإسناد صحيح)) .

الْعَظِيمُ} (٣) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٥٥] أي لا يُكرّثه ولا يُثقله , ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح (٤) ,

وابن عباس (ينظر : ابن خزيمة في التوحيد رقم (١٥٦) ٢٤٩/١ ولفظه (الكرسي موضع قدميه) , وابن أبي حاتم في التفسير رقم (٢٨٧٠) ٩٨٢/٣ ولفظه (موضع قدميه) , والحاكم رقم (٣١٧٥) ٣٣٨/٢ ولفظه (الكرسي موضع قدميه) .

وسئل أبو زرعة عن أثر ابن عباس الكرسي موضع القدمين فقال : (صحيح) ينظر : التوحيد لابن منده ٣٠٩/٣ , وذكر القصاب في نكت القرآن ١٨١/١ : أنه صحيح مشهور , وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه) , وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٥٤/١٠ : (هذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها) , وقال الذهبي في العلو ٥٩٧/١ : (رواه ثقات) , وصححه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ٣٦٣/٨ .

وأكثر أهل العلم (ينظر : نقض الدارمي على بشر المريسي ٤١٤/١ , كتاب الصفات للدارقطني رقم (٥٧) ص ٦٩ , شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي رقم (٩٢٨) ٥٨١/٢ , سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٥/١٠ .

وهو قول أهل السنة (ينظر : أصول السنة لابن أبي زمنين ص ٩٦) .

وقيل الكرسي : هو العرش , وهو قول بعض أهل العلم , وينسب للحسن البصري , (ولا يصح هذا عن الحسن , كما قال ابن كثير في البداية ٢٣/١ : (وهذا لا يصح عن الحسن , بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أن الكرسي غير العرش)) .

انظر : مجموع الفتاوى ٥٨٤/٦ , الفتوى الحموية ص ٣٣٤ , ٣٥١ , فتح الباري ١٩٩/٨ , شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٩ , مختصر العلو للألباني رقم ٣٦ , ٧٥ .

(١) أي لا يُثقله ولا يُتعبه ولا يُكرّثه .

(٢) علو ذات وقدر وقهر .

(٣) فاشتملت هذه الآية على النفي والإثبات .

(٤) كما جاء في صحيح البخاري رقم (٢٣١١ , ٣٢٧٥ , ٥٠١٠) , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذَتْهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَّ الْحَدِيثَ فَقَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ) .

والحديث موصول في البخاري عند المحققين (وليس معلقاً كما ذكر ذلك عن بعض أهل العلم) .

انظر : الأذكار للنووي ص ١٦٣ , فتح الباري ٦١٤/٤ .

وقوله سبحانه: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ^(١) [سُورَةُ الْحَدِيدِ : ٣] ,

وقوله سبحانه : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } ^(٢) [سُورَةُ الْفُرْقَانِ : ٥٨] ,

(١) أفضل ما تفسر به هذه الآية ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء , وأنت الآخر فليس بعدك شيء , وأنت الظاهر فليس فوقك شيء , وأنت الباطن فليس دونك شيء) أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣) .

فالأول والآخر : تفيد إحاطة الله الزمانية , وهذان الاسمان لا يُذكران إلا متقابلان .

والظاهر والباطن : تفيد إحاطة الله المكانية , وهذان الاسمان لا يُذكران إلا متقابلان .

ثم ختم الآية بأنه بكل شيء عليم تأكيد لعموم إحاطته بكل شيء .

فاشتملت هذه الآية على النفي والإثبات , في الألفاظ , وفي المعاني .

(٢) التوكل : اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع ودفع ما يضر مع فعل الأسباب .

انظر : زاد المعاد ١٥/٤ ، جامع العلوم والحكم ٩٦/٢ .

وقد اشتملت هذه الآية على النفي والإثبات , فالحي : إثبات , والذي لا يموت نفي .

وقوله ^(١): { وَهُوَ الْعَلِيمُ ^(٢) الْحَكِيمُ ^(٣) } ^(٤) [سُورَةُ التَّحْرِيمِ : ٢] ،
{ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ^(٥) } ^(١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا [سُورَةُ سَبَأَ : ١ - ٢] ،
وقوله : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ^(٦) الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

(١) من هنا إلى قوله { قد أحاط بكل شيء علما } ، هذه الآيات فيها الكلام على صفة العلم .
(٢) في هذه الآية إثبات اسم (العليم) وهو متضمن لصفة العلم ومعناها : أن الله (سبحانه يعلم ما كان و ما
يكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون) . انظر : مجموع الفتاوى ٤٤٩/٨ ، ٢٢٣/١٥ .

— وقد ضل في هذه الصفة طائفتان :

الأولى / الفلاسفة الذين يقولون إن الله (يعلم الكليات دون الجزئيات) ، وهذا من أخبث الأقوال وأشرها ،
وذلك أن (القرآن فيه من إخبار الله بالأمور المفصلة عن الشخص المعين وكلامه المعين وفعله المعين وثوابه
وعقابه المعين مثل قصة آدم ونوح وهود وصالح وموسى وغيرهم ما يبين أنهم من أعظم الناس تكديبا لرسول
الله تعالى .

وكذلك أخباره عن أحوال محمد صلى الله عليه وسلم وما جرى ببدر وأحد والأحزاب والخندق والحديبية
وغير ذلك من الأمور الجزئية أقوالا وأفعالا .

وأخباره أنه يعلم السر وأخفى وأنه عليم بذات الصدور وأنه يعلم ما تنقص الأرض من الموتى وعنده كتاب
حفيظ وأنه يعلم ما في السموات والأرض وأن ذلك في كتاب) .

انظر : درء التعارض ١٧٨ / ١٠ ، ١٨٦ .

الثانية / غلاة القدرية الذين (يزعمون أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار كفرهم الأئمة
كالشافعي وأحمد وغيرهما) ، (وهذا القول مهجور باطل مما اتفق على بطلانه سلف الصحابة و التابعين
لهم بإحسان و سائر علماء المسلمين بل كفروا من قاله و الكتاب و السنة مع الأدلة العقلية تبين فساده) .

انظر : مجموع الفتاوى ١٥٢/٢ ، ٤٩١ / ٨ .

(٣) في هذه الآية إثبات اسم (الحكيم) وهو متضمن لصفة الحكمة وقد (أجمع المسلمون على أن الله تعالى
موصوف بالحكمة) ، انظر : منهاج السنة ١٤١/١ .

ومعناها كما قال ابن عثيمين : (هذه المادة (ح ك م) : تدل على حُكْم وإحكام ، فعلى الأول يكون الحكيم بمعنى
الحاكم ، وعلى الثاني يكون الحكيم بمعنى المحكم ، إذ : يدل هذا الاسم الكريم على أن الحكم لله ، ويدل على
أن الله موصوف بالحكمة ، لأن الإحكام هو الإتقان ، والإتقان وضع الشيء في موضعه . ففي الآية إثبات
حكم وإثبات حكمة) . انظر : شرح الواسطية للعثيمين ١٨٨/١ .

(٤) هذه الآية ساقطة في بعض النسخ ، وفي بعض النسخ بعد هذه الآية { العليم الخبير } ، وبعضها سقط منها {
وهو الحكيم الخبير } .

(٥) في هذه الآية إثبات اسم (الخبير) وهو متضمن لصفة الخبرة ومعناها (كمال العلم ، وثوقه ، والإحاطة
بالأشياء على وجه التفصيل ، ووصول علمه إلى ما خفي ودق من الحسيات والمعنويات) . انظر : شرح
الواسطية لهراس ص ١٢٤ .

(٦) قال العثيمين في شرح الواسطية ١٩٣ / ١ : (كلمة «مفاتح» ، قيل : أنه جمع مفتح ، بكسر الميم وفتح التاء :
المفتاح ، أو أنها جمع مفتاح لكن حذفت منها الياء وهو قليل ، ونحن نعرف أن المفتاح ما يفتح به الباب وقيل :
جميع مفتح ، بفتح الميم والكسر التاء وهي الخزائن ، فـ «مفاتح الغيب» خزائنه ، وقيل : «مفاتح الغيب» ،

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ
{ (١) [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٥٩] ,

وقوله : { وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ } [سُورَةُ فَصَّلَتْ : ٤٧] , وقوله :
{ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢) وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [سُورَةُ
الطَّلَاق : ١٢] ,

وقوله: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُسْوَةِ } (٣)

أي: مبادئه، لأن مفتاح كل شيء يكون في أوله، فيكون على هذا: ﴿مفاتيح الغيب﴾، أي: مبادئ الغيب،
فإن هذه المذكورات مبادئ لما بعدها.
﴿الغيب﴾: مصدر غاب يغيب غيباً، والمراد بالغيب: ما كان غائباً والغيب أمر نسبي، لكن الغيب المطلق علمه
خاص بالله.

هذه المفاتيح سواء قلنا إن المفاتيح: هي المبادئ، أو: هي الخزائن، أو: المفاتيح، لا يعلمها إلا الله عز وجل، فلا
يعلمها ملك، ولا يعلمها رسول .

(١) فسر النبي ﷺ مفاتيح الغيب بما رواه البخاري رقم (٧٣٧٩) عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا
يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا
يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) .

وفي رواية للبخاري رقم (٤٧٧٨) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: {إن الله
عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤] .

(٢) هذه الآية فيها إثبات قدرة الله تعالى ، وقد (اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء
قدير كما نطق بذلك القرآن في مواضع كثيرة جدا) . انظر مجموع الفتاوى ٧/٨ .

– وقدرة الله شاملة لكل شيء ، والذي عليه أهل السنة (أن الله تعالى على كل شيء قدير وكل ممكن فهو
مندرج في هذا) منهاج السنة ٢/٢٩٣ ، (فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير ، وإن شئت قلت قدير
على كل ما يصلح أن يقدر عليه) مجموع الفتاوى ١٢/٣٣١ ، وأما الممتنع (المحال لذاته مثل كون
الشيء الواحد موجودا معدوما فهذا لا حقيقة له ولا يتصور وجوده ولا يسمى شيئا باتفاق العقلاء ومن
هذا الباب خلق مثل نفسه وأمثال ذلك) منهاج السنة ٢/٢٩٣ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٨/٣٨٣ .

(٣) أي صاحب القوة ، وصفة القوة معناها مقارب للقدرة فإن (لفظ القوة قد يراد به ما كان في القدرة أكمل
من غيره فهو قدرة أرجح من غيرها أو القدرة التامة) . انظر : مجموع الفتاوى ٥/٥٧٥ .

الْمَتَيْنِ^(١) { [سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ : ٥٨] ،

وقوله: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ^(٢) الْبَصِيرُ^(٣) }^(٤) [سُورَةُ الشُّورَى : ١١] ،

وقوله: { إِنَّ اللَّهَ نَعِمَّ^(٥) يَعِظُكُمْ } بِمِثْلِهِ

(١) في هذا إثبات اسم المتين وهو متضمن لصفة المتانة ومعناها : الشديد ، قال ابن الأثير : (في أسماء الله تعالى [المتين] هو القوي الشديد الذي لا يُلْحَقُهُ في أفعاله مَشَقَّةٌ ولا كُفَّةٌ ولا تَعَبٌ . والمتانة : الشدة والقوة فهو من حيث إنه بَالِغُ الْقُدْرَةِ تَامُهَا قَوِيٌّ ومن حيث إنه شديدُ الْقُوَّةِ مَتِينٌ) .
انظر : النهاية لابن الأثير ٢٥٠/٤ .

(٢) في هذا إثبات اسم السميع وهو متضمن لصفة السمع ومعناها إدراك جميع المسموعات .

(٣) في هذا إثبات اسم البصير وهو متضمن لصفة البصر ومعناها إدراك جميع المبصرات .

س / ما حكم الإشارة إلى الخواس كالسمع والبصر عند ذكر الصفات لله ؟

ج / فيه أقوال /

١/ عدم الجواز لأن فيه تشبيه .

٢/ الجواز لثبوته في الحديث الذي رواه أبو داود رقم (٤٧٢٨) : عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال : سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } إلى قوله تعالى { سَمِيعًا بَصِيرًا } قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه قال أبو هريرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع إصبعيه قال ابن يونس قال المقرئ يعني إن الله سميع بصير يعني أن الله سمعاً وبصراً ، قال أبو داود وهذا رد على الجهمية) وصححه الألباني .

٣/ على حسب السامع فإن كان لا يُشكَلُ عليه الأمر جاز ، وإن كان يُشكَلُ عليه كعامة الناس لم يجز ، وهذا هو الصحيح .

انظر : شرح الواسطية لابن عثيمين ٢١١/١ .

(٤) سبق الكلام على هذه الآية في أول المتن .

(٥) أصلها: (نعم ما) ولكن أدغمت الميم بالميم من باب الإدغام الكبير، لأن الإدغام لا يكون بين جنسين إلا إذا كان الأول ساكناً، وهنا صار الإدغام مع أن الأول مفتوح.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ ^(١) سَمِيعًا بَصِيرًا { [سُورَةُ النَّسَاءِ : ٥٨] ,

(١) أقرب الأقوال في دلالة "كان" ألما تدل على الماضي وقد تدل على الاستمرار في الزمن وقد تدل على الانقطاع , وذلك بحسب القرائن , وهذا اختيار الزجاج (معاني القرآن ٢ / ٢٥ , ٩٥) , والأزهري , تهذيب اللغة ١٠ / ٣٧٨ , وابن الشجري (أمالي ابن الشجري ٣ / ٤٨٣) , والسيوطي (الإتقان ٢١٩ / ١) .

وهناك قول آخر : بأن "كان" تدل على الماضي والأصل فيها دلالتها على الاستمرار وقد تدل على الانقطاع بقرينة , وهذا اختيار ابن معط (كما قال في ألفيته رقم ٥٠٠ : و "كان" للماضي الذي ما انقطعا ...) , وابن مالك (شرح التسهيل ٣٤٥ / ١) .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك كما عند البخاري موصولاً - فإنه ذكر الأثر ثم ذكر الإسناد بعده - في كتاب التفسير , تفسير سورة حم السجدة (سورة فصلت) ١٢٨ / ٦ , عن عن سعيد بن جبير , قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ... , وقال : {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] , {عزيزا حكيمًا} [النساء: ٥٦] , {سميعا بصيرا} [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى؟ ... ,

{وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] سمي نفسه ذلك , وذلك قوله , أي لم يزل كذلك , فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد , فلا يختلف عليك القرآن , فإن كلا من عند الله " قال أبو عبد الله : حدثني يوسف بن عدي , حدثنا عبيد الله بن عمرو , عن زيد بن أبي أنيسة , عن المنهال بهذا) . قال ابن حجر في الفتح في شرح هذا الأثر : (وحاصل ما وقع السؤال في حديث الباب أربعة مواضع ... الرابع الإتيان بحرف كان الدال على الماضي مع أن الصفة لازمة . وحاصل جواب ابن عباس ... عن الرابع بأن كان وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك .

وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه أنه أراد أنه سمي نفسه غفورا رحيمًا وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقضى وأما الصفتان فلا يزالان كذلك لا ينقطعان لأنه تعالى إذا أراد المغفرة أو الرحمة في الحال أو الاستقبال وقع مراده , قاله الكرماني , قال : ويحتمل أن يكون بن عباس أجاب بجوابين : أحدهما : أن التسمية هي التي كانت وانتهت والصفة لا نهاية لها , والآخر أن معنى كان الدوام فإنه لا يزال كذلك , ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على رفعهما كأن يقال : هذا اللفظ مشعر بأنه في الزمان الماضي كان غفورا رحيمًا مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم , وبأنه ليس في الحال كذلك لما يشعر به لفظ كان , والجواب عن الأول : بأنه كان في الماضي يسمى به , وعن الثاني : بأن كان تعطى معنى الدوام وقد قال النحاة كان لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا) .

وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٠٥٩٤) ٣٠٠ / ١٠ : {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] , {وكان الله عزيزا حكيمًا} [النساء: ١٥٨] , {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] , فكأنه كان ثم مضى , فقال ابن عباس : «هات ما في نفسك» , ...

وأما قوله {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] , {وكان الله عزيزا حكيمًا} [النساء: ١٥٨] , {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] , فإن الله عز وجل سمي نفسه ذلك , ولم ينحله غيره , وكان الله أي لم يزل كذلك " , ثم قال للرجل : «احفظ عني ما حدثتك , واعلم أن ما اختلف عليك من القرآن أشياء ما حدثتك , فإن الله عز وجل لم يزل شيئا إلا قد أصاب به الذي أراد , ولكن الناس لا يعلمون , فلا يختلفن

عليك؛ فإن كلا من عند الله» .

وفي رواية ابن منده في كتاب التوحيد رقم (١٩) ص ١٠٩ : {وقوله: {وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٥٨] ، وقوله: {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] ، {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] ، فكأنه كان ثم مضى ، فقال ابن عباس: «هل وقع في نفسك من ذلك؟» ...
وقوله عز وجل: {وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٥٨] ، {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] ، {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] ، فإنه ، عز وجل ، نحل نفسه بذلك أي وصف، ولم ينحله أحدا غيره، وكان: أي لم يزل كذلك "، ثم قال ابن عباس للسائل: «احفظ عني ما حدثتك، واعلم أن ما اختلف من القرآن أشباه ما حدثتك، وإن الله ، عز وجل ، لم يرد شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد، ولكن الناس لا يعلمون فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله ، عز وجل» .

وفي رواية أخرى لابن منده في كتاب التوحيد رقم (٢٠) ص ١١٠ : (عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إن في قلبي من القرآن لشكًا، قال: «ويلك هل سألت أحدا غيري؟» قال: لا ، قال: «وما هو» قال: سمعت الله يقول: {وكان الله} [النساء: ١٧] ، كأنه شيء قد كان ، ...
فقال: " أما قولك {وكان الله} [النساء: ١٧] فإنه لم يزل، ولا يزال، {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم} [الحديد: ٣]) .

وفي رواية البيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٠٩) ٢/٢٤٧ : {وقوله: {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] ، [ص: ٢٤٧] {وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٥٨] ، {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] وكأنه كان ثم مضى، وفي رواية الخوارزمي ثم تقضى...
وأما قوله: {وكان الله غفورا رحيمًا} [النساء: ٩٦] ، {وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٥٨] ، {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء: ١٣٤] فإن الله سمي نفسه ذلك ولم يجعله لأحد غيره. وفي رواية الخوارزمي رحمه الله: ولم ينحله أحدا غيره، فذلك قوله: {وكان الله} [النساء: ١٧] . أي: لم يزل كذلك) .

وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٦/٣٦٤ : {قوله: "وكان" أي لم يزل كذلك ، والمعنى أنه أخبر أن هذا أمر لم يزل عليه وهو الذي حكم به لنفسه وسمى به نفسه لم يكن الخلق هم الذين حكموا بذلك له وسموه بذلك فأراد بذلك أنه لو كان ذلك مستفادا من نخلة الخلق له لكان محدثا له بمحدث الخلق فأما إذا كان هو الذي سمي نفسه وجعل نفسه كذلك فهو سبحانه لم يزل ولا يزال كذلك فلهذا أخبر بأنه كان كذلك ولهذا اتبع أئمة السنة ذلك كقول أحمد في رواية حنبل لم يزل الله عالما متكلمًا غفورا وقال في الرد على الجهمية لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف } .

وقال في موضع آخر في الفتاوى الكبرى ٦/٤٨٠ : (إن ابن عباس ذكر ذلك في بيان معنى قوله وكان الله غفورا رحيمًا عزيزا حكيما سميعا بصيرا ليسين حكمة الإتيان بلفظ كان في مثل هذا، فأخبر في ذلك أنه هو الذي سمي نفسه ذلك ولم ينحله ذلك غيره، ووجه مناسبة هذا الجواب أنه إذا نحل ذلك غيره كان ذلك مخلوقا بخلق ذلك الغير فلا يخبر عنه بأنه كان كذلك، وأما إذا كان هو الذي سمي به نفسه ناسب أن يقال إنه كان كذلك وما زال كذلك لأنه هو لم يزل سبحانه وتعالى) .

وقال ابن عثيمين في شرح الواسطية ١/٢١٠ : ("كان": هذه فعل، لكنها مسلوقة الزمن، فالمراد به الدلالة على الوصف فقط، أي: أن الله متصف بالسمع والبصر، وإنما قلنا: إنها مسلوقة الزمن، لأننا لو أبقيناها على دلالتها الزمانية ، لكان هذا الوصف قد انتهى، كان في الأول سميعاً بصيراً، أما الآن فليس كذلك، ومعلوم أن هذا المعنى فاسد باطل، وإنما المراد أنه متصف بهذين الوصفين السمع والبصر على الدوام، و(كان) في مثل هذا السياق يراد به التحقيق) .